على الخط الفاصل

عندما يسترخي مريد الحكمة في سريره و يفاجأ بأن هناك كلاماً و لا يوجد متحدث؛ عندما يضع بحسبانه أن المراقِب و المراقَب هما واحد جرياً على شرح بعض المعلمين؛ عندما يلاحظ انعدام المكان من حوله و انعدام الغرفة؛ عندما يدرك بأن إشراق الظواهر الروحية داخله لم يعد بحاجة لمفكر و إنما لوعي فقط... أيجب عليه أن يخلد للنوم أم عليه القفز خارج السرير ؟... عندما يرى الحكمة و كأنها همس أو نسيم عليل... عندما يرى و يتساءل عن الصفة غير التمثيلية أو غير الدرامية للحكمة الحقيقية... فهل حصل على اللاشيئية ؟ هل هو محق ؟ أم أنه لا زال على الخط الفاصل ؟

obeikandl.com

عندما لا يكون هناك مراقِب فلا يوجد مراقَب ليراقَب، يختفي كلاهما معاً كما يختفي العلم باختفاء الباحث ولا يبقى سوى الصمت .

قد يكون في الموضوع بعض التعقيد بسبب الطبيعة الثنائية للفكر، حيث نراه مستمتعاً معها على الدوام... عارف ومعروف ؛ شاهد و مشهود... و هكذا يأتي ثالث مع كل اثنين، فمع العارف و المعروف تأتي المعرفة، و مع المراقِب والمراقَب تأتي المراقبة و لا مفر من ذلك... و هكذا نستمر باختلاق سلاسل غير منتهية .

يعني الصمت انعدام المراقِب و المراقَب معاً فلا يبقى ما نتحدث عنه، و عندما نتحدث نكون قد كذبنا .

هذا أحد الأسباب التي دفعت المعلم (Lao Tzu) لي تسو لعدم قول أو كتابة أي شيء عن الحقيقة... كان للي تسو مجموعة من مريدين عظماء لكن فيها شيء من الغرابة، جاء كل تلميذ ليصغي، ليفهم و يتعلم لكن المعلم بقي مصراً طوال حياته على ألا يقول أو يكتب شيئاً عن

الحقيقة، كان مستعداً للحديث عن أي شيء آخر لكن الناس جميعاً تريد أن تعلم و لو شيئاً عن الحقيقة .

و أخيراً جاء الوقت المناسب لسفر لي تسو إلى الهملايا لينعم بالسلام الأبدي في تلك الجبال الرائعة، لكن الملك الصيني في ذلك الوقت كان شغوفاً بما يخبئ هذا الرجل و لا يريد الإفصاح عنه، لم يعطي و لو لمحة واحدة عن معنى الحقيقة... أمر الملك بإغلاق جميع الحدود أمام لي تسو وبعدم السماح له بالمغادرة مالم يكتب شيئاً عن الحقيقة .

اعترض الجنود طريق الحكيم أثناء محاولته اجتياز الحدود الصينية نحو الهملايا... لم يكن الملك عدواً بل مريداً لذلك تم إيقاف الرجل بمحبة و احترام عظيمين .

كان الملك موجوداً عند الحدود فقد علم بأنه الطريق الذي سيسلكه لي تسو للعبور نحو ما يريد... أعد منزل مناسب للإقامة حتى يتمكن من الاستراحة و كتابة اختباراته عن الحقيقة، و بالطبع لن يسمح له بالمغادرة ما لم يفعل ذلك .

قد يكون تسو هو المعلم الوحيد الذي واجه حادثة بهذه الغرابة فالأسلحة مشهرة في وجهه بأيدي تلاميذه ومريديه... يمكننا أن نتخيل حالة المريد الذي يريد التعرف على أهم اختبار عن الحقيقة و المحافظة عليه للأجيال القادمة... اعتزل المعلم في منزله المعد و كتب مكرهاً كتاباً صغيراً بدأه بالجملة التالية « لا يمكن لكل ما يمكن أن يقال أن يكون حقيقياً و محكوم بالكذب على كل ما تمكن كتابته، تذكر هاتين القاعدتين و أنت تقرأ كتابي هذا.» لم تتمكن أسلحة الملك من إجبار المعلم على قول ما لا يمكن أن يقال... قرأ الملك الكتاب ثم أطلق سراح الحكيم الذي تمكن أخيراً من إقناع التلاميذ برأيه .

عندما ندرك بأن الحقيقة التي يمكن أن تقال تفقد حقيقتها فأي معنى يتبقى لقراءة كتاب لي تسو، لكنه أكمل و كتبه .

ما هي الصعوبة التي واجهت هذا المعلم ؟ كلما تحدث أحد المعلمين عن الحقيقة ظن أتباعه بأنهم وحدهم القادرون على الحديث عنها ، لأنهم في الحقيقة لا يعلمون عنها شيئاً. لا تظهر الحقيقة إلا عندما تختفي الثنائية و يبقى الصمت. قال أحد المعلمين عندما يختفي الاثنان يبقى الواحد فقط، و هذا مخالف لجميع اختبارات الصوفيين في العالم فعندما يبقى الواحد فلا بد من وجود الآخر في ركن مجاور... لا يمكنك أن تتخيل معنى الواحد دون أن تكون لديك فكرة و لو بسيطة عن الثنائية و عن الاثنين .

تحدث صوفي هندي و يدعى شانكارا Shankara عن نفس الموضوع بطريقة لا تحدث اختلافاً كبيراً لكنها قد تكون أفضل حيث يقول « تختفي الثنائية و تبقى اللاثنائية» لم يقل يبقى الواحد لأن هذا الأخير يذكر بالاثنين، بل عكست العملية و لم تعد هناك ثنائية تذكر بالواحد... و الاختلاف هنا أن الإشارة للواحد غير مباشرة .

ربما يكون بوذا هو الأقرب في قول ما لا يمكن قوله {ربما يكون الأقرب لكنه لم يقله } حيث أنكر بدلاً من أن يثبت... لا المراقِب موجود و لا المراقَب... تمكن بإنكاره هذا من النجاة من استدعاء الواحد و بقي صامتاً حول ما يتبقى... صمت مطلق و لا يوجد من يختبره أو من يتحدث عنه.

الصمت هو أفضل ما يوصف به ما يتبقى...

دعه يكن...

لا تحاول أن تصفه، يعاني الفكر من جرب عميق حيث يريد وصف كل شيء، و لا يتسنى له التحرر من ذلك الجرب حتى يتحقق له ما يريد بوصف الأشياء ...

عندما يبلغ كل شيء ذروته؛ عندما نبلغ اللاشيئية فمن الذي سيختبر ومن الذي سيراقِب و ما هو المراقب؟ لقد اتحدت معه كما اتحد معه المراقَب .

إنه أمر غير قابل للكلام و سيبقى غير قابل للكلام، ومهما اقتربت منه ستبقى بعيداً .

على الحكيم تجنب الحديث عنه و تجنب ذكره... إنه اختبار و لا يوجد مختبر .

لا يوجد في حياتنا العادية ما يمكن مقارنته باختبار كهذا ، و هذا هو سبب تلك الصعوبة؛ هذا ما جعل أي لمحة أو إشارة تسمح بتجريب كل الطرق الممكنة :

« إنه واحد. »

« إنه ليس اثنين. »

« لا هذا و لا ذاك. »

تبقى حالة وحيدة : لا أنت مراقِب و لا يوجد مراقَب، اتساع محيطي عذب؛ صمت مطلق لا يمكن النزول به إلى مستوى اللغات بأي حال من الأحوال .

لكن الفكر ماكر و مخادع و يصعب علينا استيعاب متاهاته و دائماً ما يأتي من الباب الخلفي... عندما يسترخي المريد فهذا يعني أنه يهم بالنوم و هذا معناه أنه صاح، وكل صاح موجود و يختبر بأنه صاح فهو مراقِب إذاً و لا بد من مراقَب و ها هي الثنائية قد صمدت .

و عندما يفاجأ بأن هناك كلاماً فقط، لا زالت الثنائية موجودة، فمن الذي أدرك الكلام ؟ لا زال المستمع موجوداً يصغي إلى الكلام لكنه ظن بأن هناك كلاماً فقط لأنه يصغي فقط، لكن لا وجود للكلام دون وجود مستمع، دعنا نوضح هذا بعض الشيء .

عندما تغادر غرفتك و تتركها فارغة، تغلق الباب وتمضي، أتعتقد أن الملابس في الداخل ستبقى محتفظة بألوانها ؟ أتعتقد أن الأبيض يبقى أبيضاً و بأن الأزرق يبقى أزرقاً ؟

لا يا صديقي : تنعدم الألوان عند مغادرتك للغرفة و بقاء الغرفة فارغة، فلا بد من وجود العين ليتمكن اللون من الوجود، فمن الذي سيرى اللون في غرفة فارغة...؟ تختفي جميع الألوان عند مغادرة الغرفة و تعود لمجرد النظر من ثقب الباب !! قد يبدو الأمر غريباً لكن الحياة بكاملها هكذا .

عندما تقف و تنظر إلى الشمس ترى نوراً و جمالاً أخاذاً، ولكن إذا أغمضت عينيك فهل سيبقى لديك ما يدعى نور الشمس، هل ستقوى الشمس عندها بالنسبة لك على توليد الألوان؟ بالطبع لا فمن أين لك الألوان وعيناك مغمضتان؟!! لا يعد هذا السؤال جديداً بل ناقشه فلاسفة الهند منذ خمسة آلاف عام و لا زال مستمراً حتى اليوم، فقد أكد فيلسوف بريطاني يدعى Bradly و زميل له يدعى Bosanquet بأن الصوت ينعدم بالنسبة لإنسان أصم وإذا حصل و أصيب جميع المخلوقات بالصمم فسيختفي الصوت من الوجود، و بالمثل إذا أصيب الناس بالعمى فستختفي الألوان من العالم و سيختفي قوس قزح و تختفي النجوم...

قد يبدو هذا غير منطقي فالورود موجودة و لها وجودها المستقل، لا إنه ليس كذلك... في الحقيقة إذا انعدمت جميع الحواس الخارجية لجميع المخلوقات في لحظة واحدة سينعدم كل شيء ما عدا قوة الجاذبية و بعد ذلك لا أعلم!

قادت هذه التجربة في النهاية إلى استنتاج مفاده بأنك عندما ترى الشيء أحمراً تكون له في الحقيقة جميع الألوان عدا الأحمر... عندما تسقط أشعة الشمس على الوردة مثلاً فإنها تمتص ألواناً معينة من الطيف، فإذا امتصت الألوان السبعة كان لونها أسوداً {لا أدري إن كان هناك ورود سوداء بالفعل } و لكن إذا مانعت تلك الوردة امتصاص اللون الأحمر فقط فسينعكس عنها و ستبدو في النهاية حمراء... الأحمر في هذه الحالة إذاً هو اللون المنبوذ من ألوان الطيف و الذي يصل إلى عيوننا، أما عندما تنعكس الألوان السبعة جميعها فستبدو الوردة بيضاء .

ليست مصادفة و لم يأت من فراغ اعتبار اللون الأبيض في جميع الأعراف التقليدية رمزاً للبراءة و النقاء، أما السبب فلم يعرف إلا مؤخراً أما المهم فهو رمز النقاء... كما مثلت جميع الأديان الشيطان باللون الأسود، إنها رموز ليس إلا فالشيطان رمز للطمع و الجشع حيث يستمر بامتصاص الأشياء دون توقف و لا يرفض منها شيئاً، أما الأبيض

فبالعكس تماماً لا يجمع شيئاً و يعيد كل الأشياء لمصادرها... الشيطان شحاذ لذلك رمز بالأسود أما الأبيض غاية في البراءة و النقاء .

عندما يفاجأ الحكيم بوجود كلام فقط ينسى كل شيء عن المستمع، ينسى و يركز على الاستماع؛ ينسى أنه مستمع و هذه هي مخادعة الفكر حيث يعمل على إيهامك بوجود واحد رغم أنهما اثنين... لا يوجد متحدث لكن يوجد مستمع .

ما دام هناك اثنين فلا بد من ثالث، و لكن يقع وهم في مثل هذه الحالات حيث يتواصل الكلام دون متكلم، ولكن من هو ذلك الصاحي الذي يستمع للكلام ويدركه؟ لا زالت الثنائية هنا.

إذا أردنا التسليم بمقولة أن المراقِب و المراقَب هما واحد فمن الذي يصوغ هذا القرار ؟ و من الذي يدركه ؟ من الشاهد، ألسنا بحاجة وراء هذا الواحد ليراه ؟ عدنا من جديد إلى المغالطة نفسها .

عندما يلاحظ المريد أو الحكيم بأن غرفته قد تلاشت من حوله أي أن المكان قد انعدم ... فأين هو إذاً ؟

ماذا يعني قولنا بأننا نسكن غرفة ؟ يعني و بكل بساطة أن هناك فراغاً أو مساحة لنا... و عندما نتخلص من كل أصناف الأثاث التي تملؤها تصبح الغرفة أوسع، و يمكن التعبير عن هذا بقولنا أن المساحة قد اتسعت أو بأن المكان قد اتسع، و عدنا من جديد إلى مسألة الوجود... فعند ملاحظة انعدام المكان يكون الحكيم موجوداً و هذا الوجود بحاجة لفراغ يشغله.

ذلك الفراغ الذي تشغله هو غرفتك... ربما يكون لتلك الغرفة جدران و ربما لا يكون، ربما تتخذ السماء كاملة غرفة لك و لا يغير هذا شيئاً... ما دمت موجوداً فأنت محاط بالمكان من حولك و لا تستطيع الوجود دونه، تلك هي غرفتك الحقيقية.

أنت من يختلق غرفته؛ أنت من يختلق المكان من حوله فعندما تتواجد يتواجد كل شيء حولك... تمتد غرفتك

حيث يمكنك أن ترى و لا يتلاشى إلا كلاكما معاً و لن يتبقى أحد ليقول « تلاشت الغرفة... تلاشيت أنا » يجب ألا يكون هناك أحد ليقول شيئاً .

لا توجد غرفة، لا توجد أنت؛ لا مراقَب و لا مراقِب... صمت تام عذب لا تشوبه أية موجة .

يردد الصوفيون قصة مشهورة عن الملا نصر الدين الذي اعتاد التفاخر في مقهى البلدة بأنه رجل كريم و طيب القلب... سئم الناس هذا الادعاء و قالوا له مرة « استمعنا إلى هذا مراراً و تكراراً لكننا لم نرى و لو إشارة فعلية تدل على صدقه و تثبت بأنك كريم و طيب القلب . »

فقال « لا بأس، جميعكم مدعوون إلى منزلي لتناول العشاء هذا اليوم... اتبعوني فقط...» كانوا حشداً من مئة رجل .

كان هذا في حرارة الحديث لكنه أدرك ما فعل عندما بدأ يقترب من البيت... كانت زوجته قد أرسلته في الصباح لإحضار بعض الخضار من السوق لكنه أمضى يومه

يتسكع هنا و هناك دون أن يعود إلى المنزل، و يعلم كغيره من الأزواج أنه لا وجود إلا لنوع واحد منهم و هو « المحكوم من زوجته» و يعلم أيضاً أنه لا يوجد في المنزل طعام للأشخاص المئة الذين دعاهم، هدأ من انفعاله ثم تباطأ وقال « اسمعوا يا رجال: جميعكم أزواج و تعلمون الحقيقة و لا حاجة لأشرح لكم عنها شيئاً، انتظروا من فضلكم في الخارج فعلي الدخول لإخبار زوجتي بأنني دعوت مئة رجل للعشاء دون أن أخبرها. »

لم يجد الرجال صعوبة بتفهم الأمر فهم أزواج و يقدرون حالة الملا نصر الدين .

انتظر الضيوف في الخارج بينما دخل الملا إلى البيت و أغلق وراءه الباب... كانت الزوجة غاضبة فقد انتظرت طوال النهار جائعة فلا يوجد في المنزل ما يؤكل، فقال الزوج «هذا في الأولوية الثانية الآن، أما مشكلتي فأصعب وعليك مساعدتي » فسألت عن الأمر فأجاب :

« دعوت في حرارة الحديث مئة رجل للعشاء و هم ينتظرون الآن في الخارج » فقالت « إلهي !! أجننت يا رجل !! لا يوجد في المنزل ما يطعم اثنين منا... ماذا تريدني أن أفعل ؟ » فقال «عليك ببساطة أن تخرجي و تسأليهم لم يقفون في الخارج، و من الطبيعي أن يجيبوا « دعانا الملا نصر الدين للعشاء » فتقولين « لا بد أن هناك خطأ فالملا في الخارج و لم أره منذ الصباح ... أين رأيتموه.»

شعرت المرأة بالدهشة و القلق فزوجها يقف في الداخل ولكن لم يكن أمامها خيار آخر، خرجت إلى الباب وبالكاد فتحته و قالت « ما هذا الحشد ؟ و لم أنتم هنا ؟» فقالوا « نحن لسنا حشداً و إنما أصدقاء زوجك الملا نصر الدين و قد دعانا للعشاء » فقالت « لا بد و أنكم مخطئون، خرج الملا في الصباح و لم يعد . »

فقالوا « لا توجد أخطاء فهناك مئة من الشهود، دُعينا للعشاء و قد أتى معنا منذ لحظات و دخل في هذا الباب ! »

بدا موقف الزوجة ضعيفاً الآن فزوجها في الداخل و يسمع كل شيء أيضاً، صعد الدرج و قال من النافذة « استمعوا أيها الحمقى : ألا يمكن أن يكون قد دخل من الباب أمامكم و خرج من الباب الخلفي... ألا تخجلون من الجدال مع امرأة مسكينة ؟ »

استخدم الصوفيون هذه القصة لقرون طويلة... إنها قصص جميلة و مليئة بالمعاني رغم بساطتها .

كيف يمكن لأحدنا أن يقول « شعرت بانعدام المكان أو الغرفة» ؟ هذا غير ممكن وعلينا تفهم حالة الملا نصر الدين جيداً حيث أنكر تواجده في المنزل و وحده هذا الإنكار ما أثبت وجوده في الداخل... لا تستطيع القول « أنا لست أنا » فمن الذي يتحدث إذاً ؟ فعندما تقول ذلك تثبت أنك أنت ، أي تثبت عكس ما تقول .

لنتابع مناقشة سؤالنا ...

عندما يقول المريد أو الحكيم « أدركت بأنه لا ضرورة أو حاجة لمفكر...» فمن الذي يفكر و يقرر هذه اللاأهمية

لوجود المفكر ؟ إنها فكرة ليس إلا فالأهمية و عدمها أفكار .

لا حاجة لمفكر بل للوعي فقط لإشراق الظواهر الروحية... عاد السائل من جديد إلى الفكر بقوله « وعي فقط » أما في قوله « إشراق الظواهر الروحية » عاد إلى المغالطة نفسها فهو مراقِب و المظاهر الروحية مراقَب... عاد الفكر من جديد ليقول بأنه لا حاجة للتفكير و هو التفكير عينه... عليك التحرر من الآخر و إلا سيلاحقك كظلك.

قد نكون غافلين عنه؛ قد لا نراه أو لا ندركه و لكن للفكر طرقه الخادعة الماكرة، و هذا ما قادنا لهذه المناقشة المعقدة و التي لا بد أن تواجهنا جميعاً عاجلاً أم آجلاً .

قدم رجل إلى أوشو و قال « لقد اختبرت الفرح الغامر ! » إنها مخادعة الفكر من جديد فإما أن يكون «هو» أو أن يكون «الفرح الغامر» أما كلاهما فمستحيل... عندما يكون هناك فرح فلا يوجد من ينقله.

يدعى أعظم تلاميذ لي تسو، تشانغ تسو Chuang Tzu...
كان تشانغ تسو في رحلته الروحية و كان دائم التحدث عن اختباراته {كما يفعل الكثيرون منا عن جهل واستكبار غير متعمد} حيث كان يردد و يكرر « إشراق مظاهر روحية، اختبار النور في الداخل و تفتح الورود و غير ذلك من الكلمات التي يصفها المعلمون بأنها جميلة لكن 99.99% منا نفعل مثله » لكن المعلم لم يعر ذلك أي اهتمام و كل ما كان يحصل عليه التلميذ منه هو « لا تضيع وقتي ... اذهب و ابدأ التأمل من جديد. »

كان تشانغ تسو قد اعتاد القدوم يومياً إلى معلمه في الصباح الباكر لكن هذا لم يحدث في صباح أحد الأيام... اقترب الغروب و لم يأت التلميذ، فتساءل المعلم « أين تشانغ تسو ؟ « فأجابوا » يجلس تحت الشجرة، لا زال هناك منذ الصباح »

فقال المعلم « سأذهب لأرى ما حصل، لا بد و أن شيئاً قد حدث للمرة الأولى. »

ذهب إلى حيث يجلس تلميذه، هز بيده جسده و قال « أها ! لا تتفوه بحرف، لم يعد الآن ضرورياً أن تأتي كل يوم وتقص علي كل تلك الحماقات. »

انحنى التلميذ على قدمي المعلم يبكي و قال « كم كان عطفك عظيماً! كم من الأعوام أمضيتها مسبباً لك القلق والإزعاج !! لكن عطفك كان عظيماً، لم تقل سوى اذهب و تأمل... لم تنكر علي شيئاً و تأتي اليوم لتقول «أها». »

لا يمكن قول أكثر من ذلك .

عندما يتلاشى المكان و الغرفة؛ عندما لا تكون هناك حاجة و ضرورة لمفكر بل «وعي فقط» فما حاجتنا لـ «فقط» عندما ندرك بلا وعينا أنه لا حاجة إلا لوعي فقط فلا داعي لاستخدام الكلمة بحد ذاتها، نعلم عندها تمام المعرفة أننا موجودون و نحمل مع تواجدنا هذا كل الأمتعة التي اختزناها في فكرنا .

النوم هنا هو الشيء الوحيد الصحيح و المفيد، فإذا تكرر ظهور مثل تلك الأشياء الغبية مع المريد فأفضل ما عليه فعله هو الاستدارة و النوم لأنه أفضل بكثير من الأحلام والأوهام... إن اختبارات كهذه في حقيقتها أحلام وفقاعات ماء و صابون و لا تملك من الحقيقة شيئاً .

«تبدو الحكمة و كأنها نسيم عليل» لا يمكن أن تصف الحكمة تبدو و كأنها شيء بل هي «هي» و الفرق شاسع... أيمكنك أن تقول لأحدهم « على ما يبدو فأنا أحبك... أغلب الظن يبدو أنني أحبك » ؟ إما أن تحب أو لا تحب .

عدنا إلى الأحلام فتغيير الجهات لا يحدث الكثير من الاختلاف... يمكنك أن تحلم بهذه الجهة و يمكنك أن تحلم بالجهة الأخرى و هناك من يحلم و عيناه مفتوحتان يسير في الشارع ... الأحلام ممكنة في جميع الحالات .

«تبدو الحكمة كالهمس أو النسيم العليل »هذا لا يمكن أيضاً... لا يمكن إيجاد طريقة لوصفها، و لا يمكنك

القول بأنه كالنسيم العليل فهذا خشن للغاية و لا يمكنك القول بأنها كالهمس لأنها صمت مطلق أما الهمس فضجيج مزعج .

لا يوجد بين اختباراتنا العادية المألوفة ما يمكن مقارنته بتفتح حكمتك و بصيرتك .

يفاجأ من توصل إلى تلك الحكمة بأنه قد تحول إلى الصمت المطلق لأنه لا يملك شيئاً عن طريقة شرحها ، فماذا سيقول عنها؟ و لمن سيقوله ؟ و من هو القادر على فهمه ؟

حصل بوذا على الاستنارة في ليلة اكتما فيها القمر و لم ينطق بكلمة واحدة مدة سبعة أيام متتالية بعدها... القصة جميلة و علينا استيعاب مختلف أبعادها لأنها تحمل لنا بعض المعاني و المضامين الجديدة... لم بقي بوذا صامتاً لسبعة أيام كاملة ؟

في البداية: غمره الاختبار و لم يعد بحاجة لفعل أو قول شيء حوله ، فكل شيء قد تحقق... و ثانياً كان له خمسة مريدين و فكر « علي فعل شيء من أجل هؤلاء الخمسة

على الأقل، كنت جاهلاً و ادعيت بأني معلم... » هناك في العالم العديدون ممن يفعلون الشيء نفسه في العالم، فأن تكون معلماً أسهل بكثير من أن تكون مريداً فعلى المريد المرور بتحويل كهذا.

شعر بالعطف على هؤلاء الذين اتبعوه و لكن ما عساه يقول لهم ؟ و هل سيفهمون ؟ و قد علم يقيناً بأنه لو لم يشعر بنفسه بالفيض و الغمرة عند بدء الاختبار لما أمكن لأحد قول شيء له عنه، و كان سيضحك دون شك، و لا يريد لنفسه أن يصبح أضحوكة... لكنه يحب تلاميذه، ذلك الحب الذي يصبح أكثر أهمية و جوهرية كلما اقتربت من مركزيتك؛ يصبح أكثر أهمية كلما عرفت نفسك أكثر و كلما أصبحت ملازماً للوجود أكثر، يأتيك بكل بساطة و لا يمكن تعلمه بالكتب و المدارس بل إنه عفوي كعفوية تفتح الأشجار عند قدوم الربيع؛ عفوي كعفوية صحوتها في الصباح... إنه عفوي .

حاول و حاول لإيجاد طريقة ينقل بها هذا الاختبار لكن كل الكلمات كانت فارغة، وجد بأن كل الكلمات فاسدة مفسدة.

و هنا تزداد المشكلة تعقيداً، عليه أن يتكلم و مع الكلام سيضيع جزء من الحقيقة، و عنما سيسمع أحدهم الكلام سيسمعه ناقصاً و سيعيد تفسيره وفقاً لفهمه ووفقاً لانتماءاته .

كانت الأيام السبعة أيام عذاب و معاناة قرر في آخرها ألا يقول شيئاً .

«عرفتها الآن لكنني عاجز تماماً» لكن المسألة الآن مسألة وجود خمسة من الآلهة... لا يوجد في البوذية إله واحد بل هناك آلهة بعدد ما هناك موجودات حية في العالم، فعلى كل وجود حي { يعني الواحد منا } أن يشرق في النهاية و يتحول إلى إله... أما فكرة الإله في الأديان المألوفة لدينا و التي نسميها سماوية فهي فكرة ديكتاتورية و يمكن تشبيه الإله فيها و كأنه مصاص

دماء فما حاجته بنا إذا كان قد خلقنا و سيدخلنا ناره الأبدية ؟ و لو فرضنا بأننا أمضينا الأعوام الممنوحة لنا جميعها بما يسمى كفراً: هل يستحق كفر سبعين عاماً شوياً أبدياً ؟ فلنعد النظر بعقد نقصنا و بعصابيتنا، أما في البوذية فالفكرة ديمقراطية للغاية فلكل مخلوق الحق والإمكانية... المسألة لك و عليك شريطة أن تدركها، كما أنه لا حاجة للتسرع فالأبدية متوفرة و لكن لا ينبغي التأجيل فلا يعلم أحدنا مدى توفر فرص التقدم في الحيوات القادمة... أفضل الحلول أن نبدأ الآن .

خمسة من الآلهة أتت إليه و وصلت أمامه « تحدث، يحدث ولكن نادراً؛ يحدث مرة كل عدة ملايين من السنين أن يبلغ إنسان هذه الحالة من الفراغ؛ هذه الحالة من الفرح الغامر و من الحقيقة... الوجود بانتظارك الآن؛ ينتظر الوجود عطرك ليرتقي بوعي كل من هو مستعد للسير؛ بوعي كل من هو مستعد للتحول، و ها أنت تقرر ألا تتكلم !! قدمنا للصلاة أمامك فتحدث من فضلك. »

توجب على التلاميذ إطالة الجدال و النقاش مع المعلم الذي رفض جميع المحاولات لجعله يتحدث لكنهم شعروا بأنه على حق، لا يمكن أن يفهمه أحد بل على العكس سيسيء الجميع الفهم، و بدلاً من العمل على مساعدة الآخرين ستكون إمكانية رجمه بالحجارة حتى الموت هي الإمكانية الأوفر حظاً .

لكنهم كانوا مصممين، ذهبوا بتحفظ و احتراز إلى الغابة ليعدوا للمناقشة الأخيرة معه «سيكون كل ما يقوله صحيحاً و لا يمكننا إقناعه بقول شيء، فالحقيقة غير قابلة للكلام كما أنها غير قابلة للفهم من جهة و من جهة ثانية فهي تخالف فكرة العامة عنها مما سيخلق عداوة شرسة للرجل. »

لم يكن بوذا الأول أو الوحيد الذي تسببت له الحقيقة باختلاق أعداء... لا أدري إذا كان لأحد من الأعداء كما لأوشو منهم... فقد أصدرت خمس و عشرون دولة قرارات برلمانية تقضي بعدم السماح له بدخول أراضيها و تقضي

أيضاً بعدم السماح لطائرته بالهبوط في مطاراتها الدولية لإعادة التزود بالوقود... عملية لا تستغرق أكثر من ربع ساعة لن يغادر الرجل خلالها مقعده !!!

بالطبع فجميع أخلاقياتهم بخطر، تقاليدهم التي توارثوها منذ آلاف الأعوام في خطر و كنائسهم هي الأخرى في خطر... جلوس أجنبي عابر سبيل لا يحمل صفة رسمية أو حقيبة نووية في الطائرة لربع ساعة قد يعرض أجيالهم الحديثة للانحراف !! أيمكن لهذا أن يصدق ؟ أيمكن لغير الواثق من ضعفه و خطأه و خوفه من انفضاح أمره أن يفعل هذا ؟؟ إن كان لديك جواب فأجبني.{ إنها الأنفاس الأخيرة لمجرم محترف ضيقت الشرطة عليه الخناق و لم يعد يعي ماذا يفعل فالسجن قادم لا محالة }

حاول الخمسة ثانية، فكيف لهم استدراج بوذا و إقناعه؟ فالمناقشة على ما يبدو عقيمة و لن تقود إلى شيء... جاؤوا إليه أخيراً و قالوا « كل ما ستقوله لنا هو حقيقة، لكنا نريد خطوة واحدة إضافية، لن تفهمك ملايين من الناس

وهناك ملايين أخرى ستعارضك لأن حقائقك تنسف أكاذيبهم من البنيان، و هم يجدون في تلك الأكاذيب الراحة، العزاء و الأمل الوحيد... حقائقك خطيرة للغاية... واثقون بك و نريد و لو إشارة، يمكن أن يوجد من بين الملايين شخص واحد لا يمكنك إنكاره و هو واقف على الخط الفاصل و بحاجة لدفعة صغيرة، ألن تساعد إنساناً كهذا لتجاوز خطه الفاصل. »

هناك وافق بوذا و قال « ربما يوجد أحدهم في مكان ما ويقف على الحد الفاصل لكنه عالق بسبب خوفه من الذهاب إلى المجهول، حتى قبل أن يدركها دفعة صغيرة وستفتح أجنحته ليجد نفسه يحلق في ذلك المجهول... سأتحدث لآخر نفس في صدري... » لم يتوقف عن الكلام لاثنين و أربعين عاماً؛ كان باراً بوعده... عمل لا يصدق... أن تقف لأجل الحقيقة يعني أن تقف ضد تاريخ الإنسانية من ألفه إلى يائه؛ أن تقف لأجل الحقيقة يعني أن تواجه العالم وحيداً .

تلقى أوشو رسالة من رجل يعمل لمجلة أمريكية يسأل فيها «ما دمت تسعى لإنقاذ الإنسانية فلماذا تتحدث ضد المسيح؟»

من جهة أولى لم يذكر أوشو مرة بأنه يسعى لإنقاذ أحد بل على العكس هذا ما نفاه مراراً، أما معارضته للمسيح فجاءت للسبب نفسه و لأنه قال للناس « سأنقذكم » يا لها من جملة خطيرة ذات فعل تسميمي، ما عليك سوى الاسترخاء و الإيمان بالمسيح { ليس المسيح فقط بل في معظم الأديان } ثم لا خوف عليك فسيأتي لينقذك .

تقول المسيحية {و غيرها} سيقوم المسيح في يوم الحساب الأخير بفرز رعاياه و يقول للّه « هؤلاء أتباعي » فيدخلون الجنة و على البقية دخول ظلمة الجحيم و البقاء هناك إلى الأبد... كائناً من كنت ، أتوافق على هذا ؟

على ما يبدو كان مرسل الرسالة مسيحي الهوى حتى أنه لم يدرك ماذا يسأل، هل يستطيع المسيح إنقاذ نفسه لينقذ غيره... خاب أمل الرجل في آخر لحظة على الصليب .

كانت المنطقة الجغرافية صغيرة جداً مما جعل الناس يصابون بالملل لكثرة تكرار الكلام نفسه « جئت لإنقاذكم » و قد عرفه الجميع شاباً لا علم له و لا معرفة كما أنه لم يتعلم شيئاً من النصوص المقدسة و لم يكن من الأحبار، بل كان يعمل مع يوسف في دكان النجارة وبدأ فجأة يقول بأنه ابن اللّه الوحيد، و من الطبيعي أن يتسبب سلوك كهذا بنوع من الضجر لبعض المحيطين... إذا كنت لا تريد من ينقذك فمن الطبيعي أن تنزعج إذا جاءك أحدهم يومياً و طرق الباب طالباً إنقاذك .

صلب المسيح و سُمم سقراط... سُمم سقراط لأنه يملك الحقيقة التي تجعل عزاء الناس و أوهامهم باطلاً، أما المسيح فبالعكس يعطي ذلك العزاء .

و لكن، من الذي اجتمع حول المسيح ؟ كانوا اثنا عشر رسولاً من الصيادين و المزارعين باستثناء خوداس، و لم يتمتعوا بعلم أو معرفة فمن الطبيعي أن يفكروا « إنها

فرصة رائعة، لا يمكننا أن ننجو اعتماداً على أنفسنا وهذا رجل يعتمد عليه، فلنتمسك به و لا يوجد ما نفقده. »

بدأ الشك و الارتياب يراوده و هو على الصليب، فقد كان بانتظار والده اللّه جالساً على غيمة بيضاء لينقذ ابنه بمعجزة و يقول لليهود «لقد أخطأتم؛ لقد أسأتم معاملة ابني الوحيد» لكن شيئاً من هذا لم يحصل و لم تأت أية غيوم... نظر إلى السماء ثانية و ثالثة و لكن لا وجود لما يشير لحدوث معجزات فقد كان كل شيء صامتاً، حتى صرخ أخيراً من لا وعيه « والدي : أتخليت عني؛ أنسيتني ؟ » و لكن لا أجوبة أيضاً .

لا يوجد آباء في السماء كما أنها لا تجيب السائلين .

و يأتي هذا الموظف ليقول « أتيت لتنقذ الإنسانية! » من الذي أخبره بذلك ؟ بل كثيراً ما كان يردد أوشو بأنه لا يريد إنقاذ أحد، فهذا برأيه عمل فردي و لا يتوجب عليه التدخل في حياة الآخرين و لو لأسباب إيجابية و نوايا سليمة... تحدث الرجل عن اختباراته الشخصية و أشار إلى

طرق ممكنة، أما إنقاذ الآخرين فلا... على أحدنا أن يسير بمفرده و دون أية أوهام .

كان يقول بأنه رجل كسول و كل ما باستطاعته تقديمه هو دفع من يجده على الخط الفاصل فهناك دوماً حنين للتراجع إلى الوراء، فاختبارات الفكر جميلة و العقل سماء مفتوحة دون حدود مما يولد شيئاً من الخوف فلا بد من وجود من يغامر بدفعك إلى المجهول... ذلك هو المعلم. وأخيراً لا يوجد للحكمة الحقيقية أية علاقات أو صفات تمت للدراما بصلة و إنما هي عادية طبيعية... يحب الناس الدراما رغم معرفتهم بأنها ليست سوى دراما و خرافات .

تعمل الأديان على انتاج أصناف متنوعة من الدراما لتسلية الناس و يحب الناس من يقوم بتسليتهم، و لكن لا توجد على الخط الفاصل اختبارات درامية بل دفعة واحدة تسمع بعدها صوت المعلم « أها. »